الصفحات: من 218 إلى 240

ما هو أساسي وما هو ليس أساسيا، أو ما هو إجباري وما هو اختياري في منهجية إنجاز البحوث الميدانية في علم النفس

(دليل مصغّر للإشراف ولتقييم الأطروحات في علم النفس)

بشير معمرية

جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 2

تاريخ الاستقبال: 2017/02/23 - تاريخ المراجعة: 2017/05/22 تاريخ النشر: 2017/06/25

«لا علم بغير منهج علمي».

مقدمة.

أثناء مناقشة أطروحات الدكتوراه، أو تقييم غيرها من البحوث الأكاديمية، يكون من الضروري التركيز على ما هو أساسي وإجباري في منهجية إنجاز البحوث الأكاديمية في علم النفس، وعدم التركيز على ما هو ليس أساسيا واختياريا، في منهجية إنجاز هذا النوع من البحوث.

لاحظت، والعديد من الزملاء الأساتذة، أنه في مناقشات أطاريح الدكتوراه، يركز أعضاء اللجنة الممتحنون للطالب على الجوانب والإجراءات الاختيارية الشكلية والتنظيمية، التي لا يعد إتيانها أو تركها خطأ في منهجية البحث. وكذلك بعض «التفاهات» التي يكتبونها في بحوثهم، ويعتقدون أنها من أساسيات المنهج العلمي، وهي ليست كذلك. ويغضون الطرف عن الجوانب الأساسية والإجبارية في منهجية البحث وإجراءات تنفيذه، التي ينبغي للطالب الباحث أن يتعلمها، ويتقنها، ولا يرتكب فيها أخطاء.

إن الكثير منهم يمتحنون الطالب، ويبدون ملاحظاتهم التقييمية، حول الإجراءات التنظيمية الشكلية والنمطية. ويبالغون في مدح الطالب وإطرائه على هذه الإجراءات. أو يبالغون في إبراز الأخطاء، التي هي ليست أخطاء. ويهملون الإجراءات الأساسية في منهجية البحث، التي أجادها الطالب أو أخطأ فيها. وأدى هذا، بطبيعة الحال، إلى فهم الطالب صاحب الأطروحة، وكل الذين يحضرون هذه الجلسات من الأساتذة والطلاب وغيرهم، أن الأطروحة جيدة، أو رديئة، وفقا للملاحظات الشكلية والسطحية التي أبداها أعضاء اللجنة الممتحنون. كما يتعلم الطلاب الباحثون، أن الجوانب الشكلية والتنظيمية، هي التي لها الأهمية في إجراءات البحث الميداني، وليس الجوانب المنهجية الأساسية والإجبارية.

إن الجوانب المنهجية في البحث العلمي النفسي الميداني، التي أصفها بـ «الأساسية» أو «الإجبارية»، هي تلك التي تم التأكيد عليها من علماء المنهجية، الذين بذلوا جهودا لعشرات أو لمئات السنين، وعملوا على استنباطها من الفكر الفلسفي

والمنطق والرياضيات وإجراء التجارب. وقاموا بإعدادها وتنظيمها وتوضيحها. وراسخة اليوم في تقاليد البحث العلمي وفي كل إجراءاته. وينبغي على الباحثين تعلمها وإيجادها، والالتزام بها، وإتباعها بأمانة وإتقان، لتكتسب بحوثهم خاصيتها العلمية. وإذا ارتكبوا فيها أخطاء، ألحقت ببحوثهم ضررا جسيما، تنزع عنها خاصيتها العلمية. وبالتالي هي الجوانب من مناهج البحث العلمي النفسي، التي ينبغي أن يتلقى فيها طلاب الجامعة تكوينا شاملا وعميقا، ومستمرا، سواء في المرحلة الجامعية الأولى، أم في مراحل الدراسات العليا. لأن الذي يميز بين الباحث الأكاديمي والباحث غير الأكاديمي، هو إتقان المنهج العلمي، الذي اتبعه الباحث عند إنجاز بحثه. لأنه «لا علم بغير منهج علمي».

وإزاء هذه الوضعية، ارتأيت أن أكلف نفسي، باقتراح دليل مصغّر، للإشراف ولمناقشة الأطروحات العلمية، أضعه أمام الزملاء الأساتذة الأفاضل، أرجو أن ينال قبولهم، والطلاب الباحثين ليستفيدوا منه.

هدف الدراسة.

هدفت الدراسة إلى تناول جانبين يتعلقان بتقارير أطروحات الدكتوراه في علم النفس. الأول : تعلق بما هو أساسي وإجباري في منهجية البحث العلمي النفسي الميداني. الثاني : تعلق بالجوانب الاختيارية الشكلية والتنظيمية، والأخطاء، في تقارير الأطروحات في علم النفس. والمقال هو بمثابة دليل مصغّر، للإشراف ولتقييم أطاريح الدكتوراه، وكذلك البحوث التي تنجز لأهداف أخرى.

أسئلة الدراسة.

تجيب الدراسة عن السؤالين الآتيين.

السؤال الأول : ما هي أساسيات منهجية إنجاز البحوث الميدانية في علم النفس ؟

السؤال الثاني : ما هي الجوانب التنظيمية والشكلية، في تقارير الأطروحات في علم النفس ؟

أولا : ما هو أساسي وإجباري في منهجية إنجاز

البحوث الميدانية في علم النفس

ينجز الباحث بحثه العلمي الميداني في علم النفس (أطروحته)، ويسجله في التقرير الذي يقدم للتقييم والمناقشة (يمتحن فيه الطالب/الباحث)، وفق العناصر الأساسية الآتية :

1. عنوان البحث، (يتضمن كلا من متغيرات البحث والمنهج والعينة).
2. مقدمة البحث، (يعرف فيها الباحث ببحثه، ويقدمه للقارئ).
3. الإطار النظري للبحث (يشمل كلا من مفاهيم البحث ونظرياته ونتائج البحوث السابقة، وفق متغيرات البحث).
4. أهداف البحث، ومشكلة البحث، وأسئلة البحث، وفروض البحث. (بصفتها موجهات للبحث).
5. الإجراءات المنهجية للجانب الميداني للبحث (وتشمل المنهج المتبع، ومجتمع البحث، وعينة البحث، وأدوات القياس أو أدوات جمع البيانات وخصائصها السيكومترية، وطرق استعمال أدوات القياس أو أدوات جمع البيانات، والأساليب الإحصائية لمعالجة بيانات البحث).

6. عرض نتائج البحث ضمن أساليب معينة، مناسبة وواضحة.

7. مناقشة نتائج البحث ضمن أطر معينة.

8. العائد من نتائج البحث بالنسبة لمفاهيم البحث أو لنظرية البحث أو لنتائج البحوث السابقة.

إن الأخطاء التي يرتكبها الباحثون في هذه الجوانب الأساسية، هي «أخطاء قاتلة»، تلحق ضررا جسيما بالبحث، مما ينجر عنه إلغاء صفة «علمي» عنه. أي أنه لا يصير بحثا علميا، بل بحثا فقط.

وأشرح في الفقرات الآتية، من هذه المقالة، الجوانب الأساسية والإجبارية لمنهجية البحث النفسي الميداني.

1) عنوان البحث.

عنوان البحث هو اسمه وهويته التي يعرف بها بين غيره من البحوث الأخرى' وبالتالي على الباحث أن يعرفه بشكل واضح، بحيث يعكس مضمون البحث.

وأقدم فيما يأتي عنوانين سيئين لأطروحتي دكتوراه. ثم أقترح صياغات لعناوين جيدة لبحوث في علم النفس.

لاحظوا معي العنوان الآتي، وهو لأطروحة دكتوراه علوم، تخصص علم النفس التنظيمي ـ تسيير الموارد البشرية.

«قيم الثقافة التنظيمية للمؤسسة الجزائرية وصلتها بنجاح إدارتها
في ضوء بعدي الالتزام التنظيمي لدى الأعضاء والنتائج المحققة
ـ مؤسسة التعليم الثانوي نموذجا».

إن هذا العنوان يبدو، من ناحية، أنه جيد، ظاهريا، لوضوح متغيراته، والألفاظ التي تربط بينها. لكنه، من ناحية أخرى، يحمل مؤشرات واضحة، تبين أنه عنوان سيء. وأسجل عليه الملاحظات الآتية :

1 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «وصلتها». وهي بمعنى «وعلاقتها». كيف تم التعرف على الصلة بين قيم الثقافة التنظيمية للمؤسسة الجزائرية، وإدارتها ؟ «في ضوء» بعدي الالتزام التنظيمي لدى الأعضاء والنتائج المحققة. ويفضل معظم الباحثين استعمال «وعلاقتها» في عناوين بحوثهم، دون أن يعملوا على تحديد المقصود منها. وهي عادة، ما يتم فهمها على أنها تشير إلى نوع المنهج المتبع في إنجاز البحث، وهو المنهج الارتباطي. حتى ولو كانت طبيعة متغيرات البحث لا تسمح باتباع المنهج الارتباطي.

2 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «المؤسسة الجزائرية». وتم تحديد «مؤسسة التعليم الثانوي نموذجا» لها. وهل يمكن أن تكون مؤسسة التعليم الثانوي نموذجا لكل المؤسسات الجزائرية، كالأسرة والبلدية وسونلغاز والبريد والولاية ؟

3 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «في ضوء». والذي يعرفه الباحثون أن البحوث، سواء في منهجها أو في أهدافها، إما أن تكون : ارتباطية أو فارقية أو تجريبية أو شبه تجريبية أو تنبؤية أو عيادية أو مسحية أو توثيقية وغيره. وماذا تعني جملة «في ضوء» من هذا كله ؟

4 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «بعدي الالتزام التنظيمي..... والنتائج المحققة». إن البعد كمفهوم، ليس

مستقلا، بل يكون خاصية أو مكوّنا لشيء ما، أو لظاهرة ما، أو لمتغير ما. لما وضع أيزنك نظريته في الشخصية، أطلق عليها «نظرية أبعاد الشخصية». إنه نظّر في الشخصية، فقال إن لها أبعادا. أي أن الأبعاد ليست مستقلة، بل هي للشخصية، كمكونات لها. والذين نظروا في الذكاء، قالوا : أبعاد الذكاء. وآخرون قالوا : أبعاد الضغوط. وغيرها. وإذا اعتبرنا أن الالتزام التنظيمي بعد للثقافة التنظيمية، فلأي خاصية، ولأي ظاهرة يكون بعد النتائج المحققة. وما المقصود بالنتائج المحققة، وفي أي مجال ؟

5 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «لدى الأعضاء». من هم الأعضاء المعنيون في البحث ؟

6 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «النتائج المحققة». ما المقصود بالنتائج المحققة ؟ وهل النتائج المحققة في مؤسسة التعليم الثانوي، تشبه النتائج المحققة في مؤسسات جزائرية أخرى؛ كالأسرة والبلدية والولاية والبريد والمستشفى ؟

7 ـ كيف تبين أن الالتزام التنظيمي والنتائج المحققة، دليل على نجاح الإدارة ؟ وكيف تم قياس نجاح الإدارة ؟

8 ـ وعند الحديث عن مجتمع البحث والعينة، تم الحديث بإسهاب عن مؤسسات التعليم الثانوي بولاية سطيف، كمجتمع بحث، من حيث عددها وتوزيعها على مدن وقرى الولاية. أما العينة التي أجري عليها البحث، فكانت من أساتذة التعليم الثانوي. أي أن مجتمع البحث شيء، وعينة البحث شيء آخر. وهذا خطأ قاتل في منهجية البحوث النفسية الميدانية. لأنه تترتب عليه مشكلتان هما : تمثيل العينة لمجتمع البحث الذي سحبت منه. تعميم النتيجة من العينة إلى مجتمع البحث الذي سحبت منه. وإذا كان مجتمع البحث ليس هو الذي سحبت منه العينة، فلا تمثيل ولا تعميم.

لاحظوا كذلك العنوان التالي، وهو لأطروحة دكتوراه، في علم النفس العيادي.

«معنى الحياة وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية

(الشعور بالوحدة النفسية، الرضا عن الحياة)

لدى المرأة العانس

دراسة مقارنة بين المرأة العانس الماكثة

في البيت والمرأة العانس العاملة»

إن هذا العنوان يبدو جيدا، ظاهريا، لوضوح متغيراته، والألفاظ التي تربط بينها. ولكنه عنوان رديء ومشوه. وأسجل عليه الملاحظات الآتية :

1 ـ وردت في عنوان الأطروحة، جملة : «وعلاقته». وتتردد في عناوين الكثير من البحوث الجامعية، ويقابل ذلك وجود الكثير من الباحثين لا يتصورون جيدا معناها. والكثير منهم يعتقد أنها تشير إلى المنهج الارتباطي. ولا بأس بذلك. ولكن الباحثة ذكرت نوع المنهج الذي اتبعته في إنجاز بحثها، عندما قالت : «دراسة مقارنة». والمقارنة تكون بين العينات. أما الارتباط فيكون بين المتغيرات. وفي هذه الحالة، هل كان البحث ارتباطيا أو فارقيا، أو كليهما.

2 ـ وردت في عنوان البحث، ثلاثة متغيرات متنافرة، هي : معنى الحياة، الرضا عن الحياة، وهذان المتغيران يدرجان، في السنوات الأخيرة، ضمن متغيرات علم النفس الإيجابي. أما المتغير الثالث، وهو : الشعور بالوحدة النفسية، فيمكن إدراجه ضمن السلوك النفسي الاجتماعي اللاسوي. إن تناول هذه المتغيرات الثلاثة، بعيد تماما، حتى عن تخصص علم النفس المرضي،

فكيف بتخصص علم النفس العيادي. إن علم النفس العيادي، كما ينبغي أن يكون البحث فيه، يتحدد بموضوعين عمليين تطبيقيين، هما : التشخيص والعلاج النفسيين. وكما نلاحظ، فإن هذا البحث، الذي أسجل ملاحظات حول عنوانه، لا يتضمن لا تشخيصا ولا علاجا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ما الفائدة العلمية التي تجنى من نتائج هذا البحث، الذي أقحمت فيه هذه المتغيرات المتنافرة، ولم يتضح المنهج الذي اتبع في إنجازه، وهل هو ارتباطي أم مقارن ؟ وما هو الموضوع المركزي في البحث، هل هو العمل ؟ وبالتالي، تتم فيه المقارنة بين المرأة العانس التي تعمل والتي لا تعمل، في كل من معنى الحياة والرضا عن الحياة والشعور بالوحدة النفسية ؟ أم أن الموضوع المركزي فيه هو متغيرات معنى الحياة والرضا عن الحياة والشعور بالوحدة النفسية، فيتم حساب معاملات الارتباط بين المتغيرات الثلاثة، لدى العانسات العاملات والعانسات الماكثات في البيت ؟

3 ـ ورد ذكر «المرأة العانس» ثلاث مرات في العنوان. والصياغة الفنية لعنوان البحث، مهمة جدا. التي ينبغي أن تكون مختصرة بقدر الإمكان. لأن من خصائص العلم الإيجاز.

4 ـ ورد ذكر «المرأة العانس الماكثة في البيت». وبما أن المقارنة كانت في متغير العمل، كان الأحسن أن يرد في العنوان : المرأة العانس العاملة وغير العاملة، للحفاظ على متغير المقارنة، وهو العمل، وللاختصار، ولتفادي التكرار الذي لا فائدة منه، بل يشوه العنوان.

إن الذي شوه عنوان هذا البحث، وجعله رديئا وسيئا، الأمور التالية :

«وعلاقته» «دراسة مقارنة» «المتغيرات الثلاثة المتنافرة» «ذكر المرأة العانس ثلاث مرات» «المرأة العانس الماكثة في البيت» «موضوع البحث ليس في علم النفس العيادي».

وبعد هذه الملاحظات، يكون عنوان البحث، بتصميمين فارقيين. لأن البحوث الفارقية، أقوى من البحوث الارتباطية. وهما كما يأتي :

الصياغة الأولى للعنوان :

الفروق بين العوانس العاملات وغير العاملات

في معنى الحياة والرضا عن الحياة والشعور بالوحدة النفسية

بحث ميداني في ولاية سطيف

في هذه الصياغة، كان البدء بأفراد يختلفون في متغير مستقل منسوب، وهو (العمل). واختبار الفرض الخاص باحتمال اختلافهم في متغيرات تابعة. وهي (معنى الحياة والرضا عن الحياة والشعور بالوحدة النفسية).

الصياغة الثانية للعنوان :

معنى الحياة والرضا عن الحياة والشعور بالوحدة النفسية

بحث مقارن بين العوانس العاملات وغير العاملات

في ولاية سطيف

وفي هذه الصياغة، كان البدء بمتغيرات تابعة (معنى الحياة والرضا عن الحياة والشعور بالوحدة النفسية) واختبار فرض

يتعلق بمتغير مستقل منسوب محتمل، وهو (العمل).

ونلاحظ أنه في كلا العنوانين، تم ذكر كل من : متغيرات البحث ومنهج البحث وعينة البحث.

وهي الطريقة التي أقترح أن تكتب بها عناوين البحوث والأطروحات، فيكون عنوان البحث جيدا، ولا يمكن تأويل معناه، إذا تضمن الإشارة صراحة، إلى ثلاثة عناصر أساسية هي : 1) متغيرات البحث. 2) منهج البحث. 3) عينة البحث.

والعناوين الآتية تتضمن العناصر الثلاثة.

1 ـ الكفاءة الاجتماعية والاكتئاب : بحث ارتباطي على عينات من طلاب الجامعة.

2 ـ مفهوم الذات لدى عينات من الأحداث الجانحين ومجهولي الوالدين والمقيمين مع أسرهم : بحث علّي/مقارن.

3 ـ التوجه الديني والشعور بالسعادة : بحث ارتباطي على عينات مختلفة من الراشدين.

4 ـ البناء النفسي للمدمن على الهروين : دراسة عيادية متعمقة باتباع منهج دراسة الحالة.

5 ـ الاعتداء على الأساتذة : دراسة مسحية على التلاميذ المعتدين على الأساتذة في المرحلة الثانوية.

نلاحظ على العناوين السابقة، أن كل عنوان منها تناول من ناحية المتغيرات والعينات ومناهج البحث. ومن ناحية أخرى تناولت متغيرات شائعة في علم النفس. إذن، على الباحثين أن يستعملوا المفاهيم العلمية النفسية استعمالا صحيحا' تماشيا مع ما هو متعارف عليه بين أهل الاختصاص' أو يبيّنون ما يقصدون بالمفهوم إذا استعملوه بمعنى جديد.

2) المقدمة.

تكون المقدمة للأطروحة كلها، بحيث تعرّف بالبحث كله بالنسبة للقارئ

الذي يبدأ بها، قبل قراءة البحث.

يشير الباحث في المقدمة إلى متغيرات البحث، وإلى مكانتها في علم النفس (حسب مجال البحث)، وإلى أهميتها في تفسير السلوك البشري. ويدعم ذلك ببعض الأفكار النظرية ونتائج البحوث السابقة، باختصار.

ثم يشير إلى دواعي أو مبررات تناول الموضوع بالبحث.

ولا بأس أن يشير إلى أهداف البحث، باختصار.

ثم يشير إلى أهمية البحث، كذلك، باختصار.

ثم يشير إلى محتوى البحث بذكر محتوى كل فصل باختصار شديد. أي ما يتناوله كل فصل، سواء في الجانب النظري أم في الجانب الميداني.

ثم يشير إلى حدود البحث، التي في إطارها يتم تعميم النتائج. وهي : المتغيرات والعينة وأدوات القياس والأساليب الإحصائية المستعملة في معالجة بيانات البحث.

ثم يختم المقدمة بالإشارة إلى صعوبات البحث، إن وجدت.

3) الإطار النظري للبحث.

إن الإطار النظري للبحث، ينبغي أن يكتب بشكل جيد، واضح ودقيق ومتخصص. لأنه الأساس لمعظم جوانب البحث

الأخرى التي تستنبط منه، وهو مصدر لها. وهي : عنوان البحث، مشكلة البحث، فروض البحث، منهج البحث، تفسير نتائج البحث، العائد من نتائج البحث وإدماجه في الإطار النظري.

وأتناول ما يتعلق بكتابة الإطار النظري في جانبين هما :

1 ـ إن إجراء أي بحث علمي نفسي ميداني (أو غير ميداني)، يبدأ بالشعور بمشكلة، التي تعني أن هناك ظاهرة سلوكية غامضة، لا يوجد لدى الباحث المتخصص، تفسير لها فيما يتوفر لديه من معلومات. فيقوم إثر ذلك بجمع معلومات حولها، بصفته متخصصا في العلم الذي يتناول ذلك النوع من الظواهر السلوكية. والمعلومات التي يجمعها حول الظاهرة السلوكية الغامضة، هي التي يحوّلها إلى إطار نظري. فينظمه في فصول أو في أجزاء من فصول.

ولكي يكون الإطار النظري للبحث واضحا ودقيقا ومتخصصا، ينبغي أن يُكتَب وفق المتغيرات الواردة في عنوان البحث، ولا يتعداها، وإلا وقع الباحث في خطأ قاتل. ولهذا يكون من الأحسن، ألا يكتب عنوان البحث إلا بعد أن يستعرض الباحث الإطار النظري، ويتعرف إلى المتغيرات، ومشكلة البحث، ومنهج البحث، وعينة البحث. فمثلا عنوان البحث الذي جاء كما يلي : «السلوك الديني لدى مدمني الكحول والمخدرات : دراسة مقارنة على عينة من المدمنين وغير المدمنين». يتناول فيه الباحث في الإطار النظري، كلا من : المفاهيم والمعلومات النظرية والدراسات السابقة، فيما يتعلق بمتغيري البحث فقط، وهما : السلوك الديني والإدمان على الكحول والمخدرات، ولا يتعداهما، وإلا وقع الباحث في خطأ فادح.

إليكم هذا العنوان لبحث لأطروحة دكتوراه :

«الحاجات النفسية والاجتماعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي».

وتكوّن إطاره النظري من هذه الفصول السبعة : الفصل الأول : الإشكالية. الفصل الثاني : المفاهيم المتعلقة بالحاجات. الفصل الثالث : حقوق الطفل من خلال المنظمات الدولية. الفصل الرابع : نظريات الحاجات النفسية الاجتماعية. الفصل الخامس : الحاجات النفسية الاجتماعية وطرق قياسها. الفصل السادس : اختبارات التحصيل الدراسي. الفصل السابع : العوامل النفسية المؤثرة في التحصيل الدراسي. إن الفصول : الثالث والخامس والسادس، لا مبرر لإدراجها. وهي غريبة عن موضوع البحث، كما يظهر من عنوانه.

وعنوان بحث آخر لرسالة ماجستير :

«الحاجات الإرشادية لغير المتوافقين في الزواج».

إن هذا البحث يظهر من خلال عنوانه أنه يهدف إلى التعرف على الحاجات التي يمكن إرشاد غير المتوافقين في الزواج فيها ليتحقق لديهم التوافق الزواجي. ولكن الفصول التي تضمنها الإطار النظري جاءت كما يأتي : الفصل الأول : في التوافق واللاتوافق. الفصل الثاني : الأسرة والثقافة والتنشئة الاجتماعية. الفصل الثالث : العائلة الجزائرية الممتدة. الفصل الرابع : العائلة الجزائرية النووية. الفصل الخامس : الإرشاد الزواجي. إن الفصول : الثاني والثالث والرابع ' لا مبرر من إدراجها في البحث. وتقدم دليلا على أن صاحب هذا البحث، عجز عن تحديد موضوع بحثه. وهذا خطأ فادح.

2 ـ إن العناصر التي يتكون منها الإطار النظري للبحث، هي : المفاهيم والمعلومات النظرية ونتائج البحوث السابقة. والشائع

في كتابتها لدى باحثينا، في معظم الأطروحات أو كلها، هو أن تفكك هذه العناصر، وتفصل عن بعضها. فيكتب الباحثون نتائج البحوث السابقة في مكان خاص ومنعزل عن المفاهيم والمعلومات النظرية. ويكتبون المعلومات النظرية في فصول منعزلة كذلك عن المفاهيم ونتائج البحوث السابقة. ويكتبون تعريفات المفاهيم في مكان منعزل عن المعلومات النظرية. فيأتي البحث في جانبه النظري مفكّكا، كما يفكك جهاز ما، كل جزء منفصل عن الآخر. مما يفقد البحث العلمي تكامله واتساقه الأكاديمي.

وهناك طريقتان للكتابة' أكاديمية وغير أكاديمية :

1. الكتابة الأكاديمية.

تستخدم في مجال كتابة البحوث العلمية، حين يستعرض الباحث المفاهيم والمعلومات النظرية ونتائج البحوث السابقة في كل منسجم يكمل بعضه بعضا في وحدة عضوية علمية متسقة. فيعرف المفاهيم ويحللها وفق الإطار النظري الذي يتبناه' ويدعم ذلك بنتائج البحوث السابقة في الموضوع' مبرزا بطريقة نقدية' جوانب الضعف والنقص وجوانب القوة' وجوانب الغموض، وجوانب الاتفاق والاختلاف، سواء في مفاهيم البحث أم في المعلومات النظرية أم في نتائج البحوث السابقة. فيتعرف على الجوانب التي تم بحثها والجوانب التي تحتاج إلى المزيد من البحث والتقصي' فيتخذ منها مشكلة بحثه.

والمعلومات التي يستعرضها الباحث بطريقة الكتابة الأكاديمية' تكون عادة معلومات غير مؤكدة وغير نهائية' لأن «المنظومة العلمية» التي يُنْجَزُ فيها البحث' تبقى دائما مفتوحة للتغيير والتعديل والإضافة والإزالة' وهكذا تنقح النتائج العلمية وتعدّل، ويتراكم المفيد منها وينمو ويزداد ثراء وفائدة.

والحقيقة أن الكتابة بهذه الطريقة' هي التي تضفي على البحث صبغته العلمية' لأن الباحث (وبصفته باحثا، ومتخصصا) يسأل ويستقصي وينتقد' ويجيب عن تساؤلاته من خلال المفاهيم والمعلومات النظرية ونتائج البحوث السابقة' فيتعرف فعلا وبصورة جيدة عن جوانب الموضوع الذي يبحث فيه' فيتسنى له اكتشاف النقص والغموض والتناقض، الذي يتخذ منه مشكلة لبحثه.

ويتعرف الباحث على مشكلة البحث من مفاهيم البحث. أو من المعلومات النظرية للبحث. أو من نتائج البحوث السابقة. وأشرحها فيما يأتي :

بالنسبة للتعرف على مشكلة البحث من المفاهيم. قد يسأل الباحث : هل كل من المفاهيم النفسية التالية : الانطواء، الخجل، الحياء، القلق الاجتماعي، الارتباك، العزلة الاجتماعية، تشير إلى نفس المعنى في السلوك البشري ؟ وأي منها يفسر سلوك التردد ؟ وسلوك الانسحاب ؟ واضطراب السلوك الاجتماعي ؟ واضطراب سلوك التواصل ؟ وسلوك احمرار الوجه ؟ وقد يسأل كذلك، هل : مفهوما المثابرة ومواصلة الاتجاه، يشيران إلى نفس المعنى في السلوك البشري ؟ وأي منهما يساهم في تفسير الإبداع ؟ وأي منهما يرتبط بمفهوم الدافع ؟

بالنسبة للتعرف على مشكلة البحث من المعلومات النظرية للبحث (أو النظريات). قد يسأل الباحث : هل مراحل النمو المعرفي، التي قال بها ج. بياجي، وهي : 1. المرحلة الحسية الحركية. 2. مرحلة ما قبل العمليات. 3. مرحلة العمليات الإجرائية. 4. مرحلة العملية التجريدية، واكتشفها لدى أطفال مدينة جنيف، تظهر هي نفسها لدى أطفال مدينة باتنة ؟ وقد يسأل، كذلك : هل عزو الأفراد لنتائج أعمالهم، ناجحة أو فاشلة، يجعلهم يظهرون إما داخلي الضبط أو خارجي الضبط ؟ وقد يسأل، كذلك : هل تفسير

المعرفيين للاكتئاب، أكثر صدقا وفائدة من تفسير السلوكيين له ؟

بالنسبة للتعرف على مشكلة البحث من نتائج البحوث السابقة. قد يسأل الباحث : هل الإناث أكثر التزاما بممارسة السلوك الصحي من الذكور ؟ وقد يسأل، كذلك : هل طرق تدريس الجغرافيا تختلف عن طرق تدريس الرياضيات في المرحلة الثانوية ؟ وقد يسأل، أيضا : هل يتأثر سلوك المراهقين بتوجيهات الأقران أكثر مما يتأثر بتوجيهات الأسرة ؟ وقد يسأل، أيضا : هل جنس الوالد بتفاعله مع الأسلوب التربوي للأسرة، أكثر فاعلية في التأثير على سلوك الأبناء من الجنسين ؟

وأضيف هنا إمكان التعرّف على مشكلة البحث من الممارسات العملية. قد يسأل الباحث : هل الموظفون الذين تلقوا تكوينا مهنيا، أكثر التزاما وظيفيا. وقد يسأل، كذلك : هل الملتزمون وظيفيا ملتزمون بقانون المرور ؟ وقد يسأل، كذلك : هل الطلاب المتفوقون دراسيا، يتفوقون كذلك في ممارسة البحث العلمي ؟

2. الكتابة غير الأكاديمية.

وتستخدم في مجال التأليف التقليدي للكتب المدرسية وحتى للكتب غير المدرسية' حين يتم عرض المعلومات بطريقة سردية في فصول أو دروس بصفتها حقائق نهائية تأكدت صحتها' دون مناقشتها في إطار منظومة علمية معينة، لإبراز ما فيها من خطأ أو صواب أو نقص أو غموض. كأن يكتب أحدنا كتابا أو فصلا عن القلق. فيبدؤه بتعريف أو تعريفات للقلق ثم أنواع القلق ثم أعراض القلق ثم نظريات القلق ثم قياس القلق ثم علاج القلق. فتأتي معلومات هذا الفصل أو الكتاب على شكل حقائق تكاد تكون حاسمة ونهائية' ولا تحتاج إلى أي تقييم نقدي أو تعديل أو تغيير أو إزالة. وهذه الطريقة لا تفيد في مجال البحث العلمي. ومن الأمثلة عليها، تأليف الكتب المدرسية للتعليم الابتدائي والتعليم المتوسط والتعليم الثانوي.

ولكي أبيّن كيف تكون الكتابة الأكاديمية، أقدم المثال الآتي عن متغيري مصدر الضبط والقلق، كجزء من فصل، في أطروحة في علم النفس :

«مصدر الضبط والقلق.

«إن القلق مفهوم أساسي في سيكولوجية السلوك اللاسوي. ويمثل العرض الرئيسي الدال على الاضطراب العصابي. ومن أكثر التعبيرات الشائعة في الكتابات الخاصة بالصحة النفسية. ويعد حالة وجدانية من الخشية وتوقع الشر والعجز والإحباط، ولا يرتبط بموقف أو مثير بيئي معين. بل هو شعور عام هائم طليق، يمكث مع الفرد في كل المواقف. ونجد على المستوى السلوكي، استجابات التجنب والتحاشي، خصائص مميزة للقلق.

«وبما أن القلق خبرة نفسية شائعة بين الناس، أي أنه خبرة يومية يعاني منها الأفراد في كل الأعمار. فإن هذا يقودنا إلى التفرقة بين نوعين من القلق حسب كاتل 1966 : الأول هو القلق «الحالة» والثاني هو القلق «السمة». ويشير القلق «الحالة»، إلى الوضع الطارئ والمؤقت الذي يحدث لدى الفرد إذا تعرض لأحد الموضوعات التي تثير القلق (قلق التفاوض، مثلا). أما القلق «السمة» فيشير إلى أساليب سلوكية ثابتة تميز شخصية الفرد. أي أن القلق في هذه الحالة أقرب إلى أن يكون مرتبطا بشخصية الفرد منه إلى مثيرات الموقف. ولذا يرتبط التفاوت في درجة هذا القلق بدرجة القلق التي تسم الفرد أكثر من ارتباطها

بحجم التهديد أو الخطر المتضمن في هذا الموقف. وهذا النوع من القلق (قلق السمة) هو الأكثر ارتباطا بالصحة النفسية. ويتحدث عنه السيكولوجيون العياديون كعرض للاضطرابات العصابية. ويمتد في نشأته ونموه إلى خبرات الطفولة والمثيرات التي تعرض لها الفرد أثناء التنشئة الاجتماعية. ويعني هذا أن كل الناس يمرون بخبرة القلق الحالة إذا تعرضوا لما يعاكسهم أو يضايقهم، ولكن بعضهم فقط هم الذين يتسمون بالقلق «السمة»، ويكونون أكثر انتباها وإدراكا لدرجة الخطر في الموقف، والمثيرات التي يتعرضون لها باعتبارها مهددة لهم، حتى ولو كانت في الواقع ليست كذلك. وتكون استجاباتهم القلقة أو المعبرة عن القلق على قدر الخطر والتهديد الذي يدركونه. (سبلبرجر وآخرون، 1992، 14 - 15).

«يعرف ج. ب. روتر، القلق، بأنه : «توقع نجاح متدن». (جيري فيرز، 1986، 206). أما أ. عكاشة فيعرفه بأنه : «شعور عام غامض بتوقع أحداث غير سارة مصحوبا بالخوف والتوتر والإحباط». (أحمد عكاشة، 1988، 39 - 40). كما يعرفه ح. ع. زهران بأنه : «حالة توتر شامل ومستمرة نتيجة توقع خطر فعلي أو رمزي، ويصحبها خوف غامض وأعراض جسمية ونفسية». (حامد عبد السلام زهران، 1977، 397).

«إن التعريفات السابقة تجعل «التوقع»، وهو دافع معرفي، عاملا أساسيا لنشوء القلق. والتوقع مفهوم مركزي في نظرية التعلم الاجتماعي، التي انبثق عنها مفهوم : مصدر الضبط الداخلي/الخارجي للتعزيز.

«وتم بحث متغير القلق مع كثير من المتغيرات المعرفية، ثبت منها أن الأشخاص القلقين تنقصهم الفاعلية في استبصارهم بالواقع، وفهمهم للأحداث البيئية والسيطرة عليها. ويحملون توقعات سلبية عن إمكاناتهم الشخصية في ضبط أسباب الحصول على التعزيزات، وهذا نتيجة للتوتر الذي ينتابهم بصورة مزمنة.

«وأجريت بحوث عديدة لمعرفة موقع الأشخاص القلقين من طلاب الجامعة على متغير مصدر الضبط الداخلي/الخارجي للتعزيز، وفق بعض المتغيرات البدنية والمعرفية والانفعالية في الثقافات المختلفة.

«ففي أمريكا قام ريسيك Resik 1982 بدراسة للتعرف على السمات التي تميز الطلاب المختصين في الطب النفسي. فطبق الاستبيانات النفسية التالية : استبيان روتر لمصدر الضبط، قائمة القلق الحالة والسمة، بروفيل الحالات النفسية. وتكونت العينة من 340 من طلاب الجامعة بكلية الطب. فبينت النتائج أن من أهم السمات التي تميز الطالب المتخصص في الطب النفسي ما يلي : التوتر، الغضب، الارتباك، الاضطراب، القلق، الاعتقاد في الضبط الخارجي. (رشاد عبد العزيز موسى، 1989، 61).

«وفي البرازيل قام بياجيو Biaggio 1989 بدراستين لاختبار صحة الفرض القائل بأنه توجد علاقة موجبة بين القلق والاعتقاد في الضبط الخارجي للتعزيز.

«الدراسة الأولى تكونت عينتها من 186 طالبة من جامعة ريو دي جانيرو. وطبق عليهن قائمة القلق الحالة – السمة واستبيان روتر لمصدر الضبط.

«الدراسة الثانية تكونت عينتها من 216 تلميذا من السنة الرابعة، 214 تلميذا من السنة الخامسة، 160 تلميذا من السنة السادسة، وكلهم من المرحلة الابتدائية. وطبق على كل العينات قائمة القلق للأطفال واستبيان ناويكي، سترايكلاند لمصدر الضبط للأطفال. فانتهت النتائج إلى ما يلي :

«بالنسبة للدراسة الأولى تحققت صحة الفرض. حيث وجد أن الطالبات المعتقدات في الضبط الخارجي كن أكثر قلقا مقارنة بذوات الاعتقاد في الضبط الداخلي.

«أما الدراسة الثانية فتبين منها أن الأطفال ذوي الاعتقاد في الضبط الداخلي أكثر قلقا كما كانت العلاقة بين الاعتقاد في الضبط الخارجي والقلق الحالة سالبة. (السيد محمد عبد الرحمن الجندي، 1992، 115)». (المرجع : مصدر الضبط والصحة النفسية، لكاتب هذا المقال. ص ص : 88 - 90).

وهكذا يستمر الباحث في عرض محتوى هذا الفصل بهذه الطريقة، إلى أن ينهيه بخاتمة، عبارة عن خلاصة لكل ما ورد في الفصل.

نلاحظ أن الباحث هنا، تناول كلا من تعريفات المفاهيم وبعض الأفكار النظرية ونتائج الدراسات السابقة، في عرض واحد. ولم يفصل بينها في ثلاثة أماكن منعزلة عن بعضها في تقرير البحث، كما هو شائع في كل البحوث التي تجرى حاليا. فيقوم الباحثون بتفكيك هذه الجوانب وإبعادها عن بعضها؛ تعريفات المفاهيم في مكان منعزل. والنظريات أو المعلومات النظرية منعزلة في مكان آخر. ونتائج الدراسات السابقة منعزلة كذلك في مكان آخر. فيصير الأمر كالذي قام بتفكيك آلة أو جهاز، أو محرك سيارة، كل قطعة منفصلة عن القطع الأخرى، مما يجعل المحرك يفقد خاصيته كمحرك، ولا يؤدي وظيفته. وكذلك البحث، عندما يفكك بهذه الطريقة يفقد خاصيته الأكاديمية، ويفقد قيمته العلمية.

ويصف علماء المنهجية الباحثين الذين يفككون الجانب النظري أو الإطار النظري إلى ثلاثة جوانب منفصلة عن بعضها، بعدم التمكن العلمي، والعجز عن تناول إطار نظري وتحليله تحليليا جيدا عميقا وناقدا. لأن هذا يتطلب تمكنا علميا، وجهدا في البحث. فيتجنب الباحثون العاجزون هذه الطريقة، ويلجؤون إلى السهل الخاطئ.

وهناك كذلك، ظاهرة الإكثار من التعريفات في ثلاثة أماكن من تقرير البحث. 1) تحت عنوان فرعي يدعى : تعريفات مفاهيم البحث. 2) في بداية كل فصل بالنسبة للمتغيرات. 3) التعريفات الإجرائية. فيصير البحث في وضعية «حمولة زائدة» «Surcharge» أو ازدحام واكتظاظ «Encombrement»، لا داعي له، بل يشوّه جمالية البحث. ويفقد للبحث العلمي خاصية من خصائصه الهامة، وهي : الإيجاز.

والعمل المنهجي والتنظيمي الحكيم في كتابة التعريفات، أنها تكتب في مكانين فقط في تقرير البحث، هما : في بداية فصل كل متغير من متغيرات البحث. وهذه تعريفات نظرية أو وصفية للمفاهيم، وتدعى تعريفات تكوينية أو تأسيسية. وتكتب كذلك في نهاية الفصل المتعلق بأهداف البحث ومشكلته وفروضه، وتدعى تعريفات إجرائية، من خلال أساليب قياسها أو إجراءات وضعها في موقف تجريبي.

4) أهداف البحث، مشكلة البحث وأسئلته، فروض البحث.

بصفتها موجهات للبحث. لأن كل بحث يسعى إلى تحقيق أهداف، والإجابة عن أسئلة، واختبار فروض. وينبغي الاهتمام بها، وكتابتها بطريقة فنية واضحة، ومتسقة مع بعضها في الاتجاه والمعنى. وأتناولها فيما يلي

1. أهداف البحث.

تعتبر أهداف البحث، من أهم موجهات إجراءات البحث الميدانية. لأن كل بحث، ينبغي أن يسعى إلى تحقيق أهداف محددة. وبالتالي، ينبغي الاهتمام بها في البحث، وكتابتها بطريقة جيدة، من حيث الوضوح والاتساق في التوجه والمعنى. فيبين فيها الباحث، ما الذي يسعى إلى الوصول إليه، ومن أجله يقوم بإجراء البحث. أي النتائج التي يسعى إلى تقديمها. وتكون هذه النتائج إما عبارة عن معرفة علمية نظرية، تضاف إلى ما هو موجود منها في موضوع البحث. أو تكون عبارة عن نتائج يمكن الاستفادة منها عمليا في ميدان موضوع البحث لإصلاح ما يمكن إصلاحه في ذلك الميدان. وبما أنها من أهم موجهات البحث، تكتب في مكان واحد ضمن الفصل الذي يتناول : أهداف البحث ومشكلة البحث وفروض البحث والتعريفات الإجرائية لمتغيرات البحث.

2. مشكلة البحث.

تعتبر مشكلة البحث، كذلك، من موجهات البحث، بل هي صلب موضوع البحث. وتعرف ببساطة، بأنها : «سؤال غامض ومحيّر عن ظاهرة سلوكية معينة، لا توجد لدى الباحث إجابة عنه فيما يتوفر لديه من معلومات».

ومن الكتابات السيئة لمشكلة البحث والفروض، أنها تكتب في الفصل الأول من الأطروحة. قبل عرض مفاهيم البحث والمعلومات النظرية ونتائج البحوث السابقة. ويبدو الأمر هنا، أن الباحثين لا يفرقون بين الشعور بالمشكلة وتحديد المشكلة. إن خطوات الطريقة العلمية، التي اقترحها الفيلسوف والمربي الأمريكي، جون ديوي J. Dewey، عام 1910، ونجدها كذلك لدى فلاسفة مناهج العلم، وتتابع العمليات الفكرية لمسار البحث العلمي، تبدأ بالشعور بالمشكلة، ثم جمع المعلومات حولها، ثم التوصل إلى تحديدها. إذن، يتم تحديد مشكلة البحث، بعد جمع المعلومات حولها، ويتم جمع المعلومات من المفاهيم والمعلومات النظرية ونتائج البحوث السابقة، المتعلقة بمتغيرات البحث (وهي التي تكوّن الإطار النظري، كما أشرت إلى ذلك سابقا). وبعدها يتسنى للباحث التعرف على مشكلة البحث وتحديدها بدقة. وبعدها يقترح لها حلا أو تفسيرا من خلال وضع فرض أو فروض، التي يختبرها بمنهج علمي ملائم. هذه هي الطريقة السليمة في كتابة مشكلة البحث. أي أنها تكتب بعد عرض الجانب النظري للبحث، لأنها تستنبط أو تستقرأ منه. ومما يؤيد هذه الطريقة في كتابة مشكلة البحث، هو عامل السبق الزمني للمفاهيم والمعلومات النظرية ونتائج البحوث السابقة، على مشكلة البحث وفروضه. وعامل السبق الزمني هذا، يجعل من الضروري أن يكون هناك أيضا سبق زمني ومكاني في كتابة مشكلة البحث وفروضه، بعد عرض الإطار النظري وتحليله تحليلا جيدا وعميقا وهادفا. وإلا صارت العملية البحثية مقلوبة رأسا على عقب. أي أن البحث، في جانبه النظري، بدأ من حيث انتهى. وكأن الباحث هنا يشبه ذلك الذي بدلا من أن ينسب الابن إلى أبيه، ينسب الأب إلى ابنه. أتذكر، وأنا في المرحلة الجامعية الأولى، أن أستاذا كان يقدم لنا دروسا في علم الاجتماع العام. وفي درس حول فلسفة التاريخ، تناول إسهامات ابن خلدون، في هذه الفلسفة. فقال لنا : «إن ابن خلدون ماركسي !».

3. أسئلة البحث.

تعتبر أسئلة البحث، كذلك، من موجهات إجراءات البحث الميدانية. لأن كل بحث يحاول أن يجيب عن سؤال أو عن أسئلة. ويضع الباحثون أسئلة لبحوثهم، لأنها أكثر تحديدا لمشكلة البحث. ويسعى البحث، بإجراءاته الميدانية، للإجابة عنها. وينبغي

أن تتسق في الاتجاه والمعنى مع أهداف البحث، ومشكلة البحث. ويمكن للباحث أن يكتفي بالأسئلة، دون المرور إلى وضع فروض للبحث. كما يمكنه أن يضع فروضا للبحث، بعد الأسئلة.

4. فروض البحث.

تعتبر الفروض كذلك، من موجهات إجراءات البحث الميدانية. وينبغي أن تتسق في الاتجاه والمعنى مع كل من أهداف البحث وأسئلة البحث. وفرض البحث هو حل مؤقت للمشكلة، أو إجابة مؤقتة عن السؤال. وأتناول الفرض العلمي، من ثلاثة جوانب؛ من ناحية التسمية. من ناحية الصياغة. ومن ناحية الاختبار :

فمن ناحية التسمية : يذكر علماء المنهجية نوعين من الفروض هما : فرض البحث، والفرض الإحصائي. وفرض البحث، هو الذي يكتبه الباحث ويصرح به في مكانه في تقرير البحث. وهو الذي يوجه فعاليات البحث الميداني بعد ذلك. لأنه «جسر» أو «محطة عبور» يعبر خلاله الباحث من الجانب النظري للبحث إلى الجانب الميداني. ويشترط في فرض البحث الجيد، ما يأتي :

1. أن يستنبط من مفاهيم، أو من نظرية، أو من نتائج بحوث سابقة، أو من ملاحظات في الحياة العملية. بمعنى ألا يضع الباحث فرضا أو فروضا لبحثه، إلا إذا قام بتحليل الإطار النظري للبحث، من مفاهيم ومعلومات نظرية ونتائج دراسات سابقة، بطريقة عميقة وناقدة، حتى يتعرف على توجهاته، وعلى جوانبه القوية والضعيفة، والواضحة والغامضة، ثم يضع بعد ذلك فرضا أو فروضا مناسبة.

2. أن تتحدد في فرض البحث المتغيرات التي يختبر العلاقة بينها.

3. أن يكون فرض البحث شاملا ومتسقا مع النظرية أو مع نتائج البحوث السابقة، أو مع ما تمت ملاحظته في الحياة العملية، التي اشتق منها.

4 ـ أن يكون فرض البحث خاليا من التناقض مع ما تذهب إليه النظرية، أو نتائج البحوث السابقة، أو ما تمت ملاحظته في الحياة العملية.

5 ـ أن يكون فرض البحث متعددا. لأن حل المشكلة، قد يحتاج إلى أكثر من فرض، في بحث واحد.

6 ـ أن يكون فرض البحث بسيطا وموجزا من حيث عدد المتغيرات، ومن حيث عدد العينات، ومن حيث مستوى التصميمات.

7 ـ أن تكون لفرض البحث القدرة على التنبؤ بطبيعة العلاقة بين متغيرين فأكثر.

8 ـ أن يصاغ فرض البحث في جملة خبرية أو عبارة تقريرية.

9 ـ أن يكون فرض البحث قابلا للاختبار.

ولكي لا يقع الباحثون في ارتكاب الأخطاء عند وضعهم لفروض بحوثهم، ينبغي عليهم الأخذ بعين الاعتبار للشروط السابقة لصياغة فروض البحث والتقيد بها.

أما الفرض الإحصائي، فهو صورة أخرى لفرض البحث، يضعه الباحث عندما يكون بصدد اختباره إحصائيا.

ومن ناحية الصياغة : لا توجد قاعدة محددة لصياغة فروض البحث. وفيما يأتي نماذج من صياغات مختلفة لفروض البحث، وكلها صحيحة.

يمكن صياغة فروض البحث، كما يأتي : المتدينون سعداء. المدمنون تعساء. الأذكياء ناجحون. الأحداث القاطنون في أحياء فوضوية منحرفون. الإناث أكثر التزاما بالسلوك الصحي من الذكور. النوم ليلا أكثر فائدة صحيا من النوم نهارا.

ويمكن صياغة فروض البحث السابقة، بطريقة أخرى، وهي : إذا كان الأفراد متدينين سيكونون سعداء. إذا شعر الفرد بالتعاسة سيكون مدمنا على مخدر معين. إذا كان الفرد ذكيا سيكون ناجحا. إذا كان الحدث من قاطني الأحياء الفوضوية سيكون منحرفا. كلما كان الفرد أنثى كان أكثر التزاما بالسلوك الصحي. الأفراد الذين ينامون ليلا، أكثر صحة من الأفراد الذين ينامون نهارا.

ومن ناحية اختبار فروض البحث السابقة : فإن الشائع في فروض البحث، أنها تكون : ارتباطية أو فارقية أو تنبؤية أو تفاعلية أو عاملية.

ورغم أن أي صياغة استعملها الباحثون لفروضهم من الصياغتين السابقتين، تكون صحيحة. إلا أن الشائع لديهم، أنهم عندما يريدون اختبار فروض بحوثهم، يقومون بصياغتها بالطرق التالية :

- توجد فروق بين المتدينين وغير المتدينين في الشعور بالسعادة.
- يرتبط التدين بالشعور بالسعادة.
- يمكن التنبؤ بمستوى الشعور بالسعادة لدى الأفراد، إذا تم التعرف على مستويات تدينهم.
- توجد فروق بين المدمنين وغير المدمنين في الشعور بالتعاسة.
- توجد فروق بين الناجحين والفاشلين في درجة الذكاء.

وهكذا بالنسبة لصياغة الفروض الأخرى.

وعلى الباحث أن يختار صياغة واحدة فقط من الصياغات السابقة لفروض بحثه. ولا يترتب على ذلك أي خطأ. أما إذا قام بصياغة فرض واحد بأساليب عديدة، وفي أماكن عديدة كذلك، في تقرير البحث، فهذا غير مقبول.

ويذكر علماء مناهج البحث النفسي، نوعين من الفرض الإحصائي، هما : الفرض الإحصائي البديل، والفرض الإحصائي الصفري. والفرض الإحصائي البديل، هو حليف لفرض البحث. وهو إما موجه أو غير موجه.

ولا يوضع فرض البحث أو الفرض الإحصائي البديل بصيغة صفرية أبدا. أي فرض ينفي وجود ارتباط أو فرق أو تنبؤ أو تفاعل أو عوامل. فالصياغة الصفرية للفرض غير مألوفة علميا، وغير مقبولة. لأنه ليس سليما، أن نقول عن شيء ما ليس موجودا، وفي نفس الوقت، نبحث عنه. فالباحث الذي يقول لا يوجد ارتباط بين الذكاء والطموح، ويقول لا يوجد فرق بين الجنسين في مفهوم الذات وغيره، ثم يجري بحثا لإثبات ذلك، هذا ليس باحثا جيدا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لا يمكن اختبار الفرض الصفري إحصائيا. لأن جداول الدلالة الإحصائية، تم وضعها للاختبار الإحصائي عند الذيل الواحد Tailed One، بالنسبة للفرض الإحصائي البديل الموجه. وعند الذيلينTwo tailed ، بالنسبة للفرض الإحصائي البديل غير الموجه. أما الفرض الإحصائي الصفري، فلا يكون موجها وغير موجه، ولا يختبر بالدلالة الإحصائية. لأنه عند حصول الباحث على نتيجة بعدم وجود فرق أو عدم وجود ارتباط وغيره، فلا يذهب إلى الجداول الإحصائية ليقارن القيمة الإحصائية المحسوبة بالقيمة الإحصائية الجدولية.

والمكان الوحيد الذي يذكر فيه الباحث الفرض الإحصائي الصفري، هو عند مناقشة نتائج البحث. فإذا جاءت نتيجة البحث تبين وجود ارتباط أو وجود فرق أو وجود تنبؤ... إلخ. يقول أقبل الفرض البديل، وأرفض الفرض الصفري. أما إذا كانت نتيجة البحث تبين عدم وجود ارتباط أو عدم وجود فرق أو عدم وجود تنبؤ وغيره، يقول أرفض الفرض البديل وأقبل الفرض الصفري. لأن نتيجة البحث، هي التي تؤيد فرض البحث أو تدحضه. وقد قلت أن الفرض الإحصائي البديل هو حليف لفرض البحث. بمعنى أنه إذا تحقق الفرض الإحصائي البديل، يعني أن النتيجة تؤيد فرض البحث، وإذا تحقق الفرض الإحصائي الصفري، يعني أن النتيجة تدحض فرض البحث.

أدعو الباحثين، أن يمارسوا البحث بهذه الطريقة الفنية الموجزة. ومن خصائص العلم البساطة والإيجاز (ما قلّ ودلّ).

5) منهج البحث.

يقال : إن طبيعة موضوع البحث، هي التي تحدد منهج البحث. ولكن ما المقصود بطبيعة موضوع البحث ؟ تتحدد طبيعة البحث، خاصة من خلال : أهدافه وأسئلته وفروضه، ومتغيراته.

- وكما أشرت، في فقرة سابقة، فإن كلا من أهداف البحث وأسئلته وفروضه، هي موجهات البحث. : فإذا كان الأمر يتعلق بمعرفة الفروق، فإن مناهج البحث المناسبة هي المنهج التجريبي وشبه التجريبي والعلّي/المقارن. وإذا كان الأمر يتعلق بمعرفة الارتباطات، فإن منهج البحث المناسب هو المنهج الارتباطي بأساليبه المختلفة. وإذا كان الأمر يتعلق بالتنبؤ، فإن منهج البحث المناسب هو أساليب الارتباط والانحدار. وإذا كان الأمر يتعلق بالتعرف على مشكلات التوافق والصراعات النفسية لدى فرد معين، فإن المنهج المناسب هو المنهج العيادي وأساليبه المختلفة (دراسة حالة). وإذا كان الأمر يتعلق بمعرفة مدى انتشار ظاهرة سلوكية ما في مجتمع واسع، فإن المنهج المناسب هو المنهج المسحي..... وهكذا.

- بالنسبة لمتغيرات البحث : فإذا كانت متغيرات البحث قابلة للتجريب، (مثل : الدافعية والقلق والإحباط). فإن منهج البحث المناسب، هو التجريبي وشبه التجريبي. وإذا كانت المتغيرات غير قابلة لإخضاعها للتجريب، فإن مناهج البحث المناسبة في هذه الحالة متعددة؛ العلّي/المقارن، الارتباطي، العيادي، المسحي، وغيرها.

6) مجتمع البحث.

يدعى كذلك الأصل العام، أو المجتمع الإحصائي أو الأصل السكاني. وهو المجتمع المستهدف من إجراء البحث.

وهو في لغة العلوم الإنسانية، عبارة عن مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا، والمستهدفة من البحث. وهو مصطلح في مناهج البحث العلمي النفسي، المقصود به كل من الأفراد والوقائع والأشياء التي يمكن أن تعمم عليها نتائج البحث، ولها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من الأفراد والوقائع والأشياء الأخرى. مثل : أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية، المرضى بقرحة المعدة، المراهقون الجانحون، تلاميذ التعليم الابتدائي، المرضى عقليا، مديرو المدارس الثانوية، الموظفون في قطاع البريد والاتصالات، طلاب الجامعة، المجرمون، المتأخرون عقليا، الآباء والأمهات، اليتامى، المدمنون، المسنون، العمال في مصانع، سكان مدينة، الجانحون. حوادث السيارات، حوادث الطلاق، الكتب المدرسية، أسئلة الامتحانات... إلخ.

وهناك مستويان من مجتمع البحث، أو الأصل العام، وهما : الأصل العام المستهدف (المسنون في القطر الجزائري). والأصل العام سهل المنال (المسنون في ولاية باتنة). لأن الباحث يسهل عليه الوصول إليهم وسحب عينة منهم.

وبما أن مجتمع البحث هو المستهدف من إجراء البحث، فإنه قبل إجراءات سحب العينة منه، ينبغي تحديد إطاره العام. أي تعريفه بدقة، وتحديده بكل خصائصه أو معظمها. بحيث يصير متميزا تماما عن غيره من الأصول العامة الأخرى. حتى يتسنى بعد ذلك سحب عينة جيدة منه. أي ممثله له. فمثلا، في حالة سحب عينة من طلاب كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة سطيف 2 (بصفتهم مجتمع البحث)، ينبغي إعداد قائمة اسمية بجميع طلاب وطالبات هذه الكلية. وهذا يعني أن الإطار هو أسلوب لتعريف وتحديد الأصل العام تحديدا دقيقا لكل مفرداته، مما يمكن الباحث من الوصول إلى جميع هذه المفردات، وإبعاد المفردات الأخرى، غير المعنية بالبحث (طلاب في جامعات أخرى، أو في كليات أخرى). ويفيد الإطار الباحث كذلك، في تجنب الوقوع في التحيز. لأن تحديد أفراد الأصل العام في إطار، يمكنه من إعطاء فرص متساوية لكل مفردة من مفرداته في الظهور ضمن العينة. ويجب أن يحقق الإطار ما يأتي :

1. الوضوح في تعريف الأصل العام محل البحث.
2. شمول جميع مفردات الأصل العام.
3. عدم تكرار بعض مفردات الأصل العام.

إن المستهدف من إجراء البحث، هو المجتمع وليس العينة. فالمجتمع هو الهدف من البحث، أما العينة فهي الوسيلة لذلك.

تبريرات تحديد الأصل العام.

هناك ثلاثة تبريرات لتحديد الأصل العام تحديدا واضحا ودقيقا، وهي.

أ. المعاينة.

إن الأصل في البحث العلمي، أن يجرى البحث على كل مجتمع البحث. أما إذا كان ذلك صعبا أو مستحيلا، لكون عدد أفراد مجتمع البحث كبيرا جدا، مما يتطلب وقتا وجهدا كبيرين، فإن الحل عندئذ هو اختيار عينة منه وإجراء البحث عليها. ومن الناحية المنطقية، فإذا لم يتم تحديد الأصل العام بطريقة واضحة، فكيف يتم أخذ الجزء منه، بطريقة واضحة أيضا ويمثله.

ب. تمثيل العينة للأصل العام.

من شروط إمكان تعميم النتائج وصدق هذا التعميم، أن تكون العينة ممثلة للأصل العام. ولا يتحقق الباحث من تمثيل العينة لأصلها العام، إلا إذا تمكن من تحديد إطار الأصل العام تحديدا دقيقا وشاملا.

والأصول العامة، ليست معروفة كلها بأعدادها أو بأسمائها لدى الباحثين. فعند القيام بالمعاينة، إما أن يكون الأصل العام معروفا لدى الباحث، أو يكون غير معروف لديه.

1. إن الأصل العام الذي يكون معروفا لدى الباحث، إما أن يكون صغيرا في مفرداته، فيتم بحثه كله، أو يكون كبيرا جدا فيستحيل بحثه كله. وهنا إما أن تكون مفردات هذا المجتمع مسجلة في قائمة أو قوائم لدى الباحث، أو يكون مجتمعا واسعا وغير محدد في مفرداته وغير مسجل لدى الباحث، ولكنه يستطيع الوصول إلى الجزء سهل المنال منه.

وعادة ما يكون الأصل العام المعروف لدى الباحث محددا في أماكن معينة، أو مؤسسات؛ كالمدارس والجامعات، والمؤسسات الاجتماعية المختلفة كالإدارات والمستشفيات والنوادي والأسر وغيرها. ولذا يفضل الباحثون سحب عينات بحوثهم النفسية من هذه الأصول العامة؛ كتلاميذ المدارس وطلاب الجامعات وموظفي الإدارات وعمال الشركات وأطباء ومرضى المستشفيات. لأن الباحثين يجدون سهولة في الاتصال بهم، وسحب مفحوصين أو عينات منهم لبحوثهم.

2. وتوجد في مقابل ذلك، أصول عامة غير معروفة لدى الباحث. فهو لا يعرف تعدادهم، ولا تتوفر لديه قوائم بأسمائهم، ولا يستطيع معرفة أماكن تواجدهم، ولا تحتويهم مؤسسات معينة. والأمثلة على هذه الأصول العامة غير المعروفة كثيرة؛ مثل : اليتامى، الأرامل، المطلقين، المسنين، المدمنين، البغايا، اللصوص، المزورين، الأطفال المنغوليين، الأطفال الذاتويين، المصابين بأمراض مختلفة ولا يتواجدون في المستشفيات... وغيرهم من الأصول العامة التي يجد الباحث صعوبة في التعرف على أفرادها، وسحب عينة منها.

وبسبب هذا الاختلاف في طبيعة الأصول العامة، ومدى سهولة أو صعوبة معرفة الباحث بها، تم وضع أساليب مختلفة للمعاينة، لتشمل كل ذلك التنوع في طبيعة الأصول العامة. وفيما يأتي بعض الأمثلة.

إذا كان الأصل العام متجانسا، فيمكن سحب عينة صغيرة منه، وتفي بالغرض. وإذا كان الأصل العام غير متجانس، فتسحب منه عينة كبيرة الحجم نسبيا. وإذا كان الأصل العام صغير الحجم، ويمكن معرفته كله وكتابة أسماء مفرداته في قوائم، فيمكن سحب عينة منه بطريقة عشوائية. وإذا كان الأصل العام معروفا ولكنه كبير الحجم، بحيث يصعب كتابة مفرداته في قوائم، فيمكن سحب عينة منه بطريقة عرضية. وإذا كان الأصل العام غير معروف بأعداده أو بأماكن وجوده، فيمكن سحب عينة منه بأسلوب المعاينة الشبكية (كرة الثلج)... وهكذا.

ج. تعميم نتائج البحوث.

إن البحوث العلمية التي تجرى على عينات، تهدف إلى تعميم نتائجها على الأصل العام. لأن الأصل العام هو هدف البحث. ولن يتحقق التعميم ما لم يتم تعريف الأصل العام، الذي ينبغي ألا يتجاوزه هذا التعميم.

إذا لم يحدد الباحث المجتمع المستهدف من البحث، تحديدا واضحا ودقيقا، مبينا جميع خصائصه أو معظمها، فلن تكون لبحثه أي قيمة علمية. لأن عدم تحديد المجتمع المستهدف من البحث، يلحق ضررا جسيما بكل من عملية المعاينة. وعملية التمثيل. وعملية تعميم النتائج.

7) العينة والمعاينة.

تعرّف العينة بأنها : جزء من كل. والكل هو الأصل العام الذي تسحب منه. أي هي : مجموعة جزئية من الأصل العام. ولها نفس خصائص الأصل العام الذي تنتمي إليه.

أو هي : مجموعة من الوقائع أو الأشياء أو الأفراد، الذين يسحبهم الباحث من الأصل العام للمشاركة في البحث.

والمعاينة هي سحب جزء من الكل. ويتم اللجوء إلى المعاينة، عندما يصعب أو يستحيل إجراء البحث على الأصل العام كله. وعند التوصل إلى نتائج على العينة، تعمم على الأصل العام الذي سحبت منه.

وهناك أنواع من أساليب المعاينة، تم إجمالها في نوعين هما : المعاينة الاحتمالية (العشوائية). والمعاينة اللا احتمالية (غير العشوائية). والفرق بين النوعين يكمن فيما يأتي :

بالنسبة للمعاينة العشوائية، ينبغي توفر شرطين هما :

1. معرفة كل مفردات الأصل العام، وتسجيل أسمائها في قوائم.
2. جعل كل مفردة لها نفس الفرصة التي لجميع المفردات الأخرى لتكون ضمن عينة البحث، دون تحيز.

أما بالنسبة للمعاينة غير العشوائية، فلا تتقيد بهذين الشرطين. ولذا تعتبر المعاينة العشوائية، أكثر تحقيقا للتمثيل.

والقضية المركزية التي ينشغل بها الباحثون بالنسبة للعينة، هي حجمها. والطريقة التي يرون أنها من الضروري أخذها بعين الاعتبار لسحب حجم عينة مقبول علميا، هي النسبة المئوية. ولكن النسبة المئوية، تتحقق في حالة واحدة فقط، عندما يكون حجم مجتمع البحث معلوم بتعداده لدى الباحث، وهذا لا يتحقق إلا نادرا جدا. وهناك عوامل عديدة جيدة، لتحديد حجم العينة، ليس من بينها النسبة المئوية. وهي ما يأتي :

1. طبيعة الأصل العام، من حيث حجمه ومدى تجانسه.
2. طرق جمع البيانات، من مجموعات أو من أفراد.
3. منهج البحث؛ تجريبي أم فارقي أم ارتباطي أم مسحي أم عيادي.
4. طريقة المعاينة، هل هي احتمالية أو لا احتمالية.
5. فرض البحث قوي أو ضعيف.
6. أهداف البحث وأهمية النتائج.
7. درجة الدقة المطلوبة في المعلومات المراد الحصول عليها.
8. التكاليف المتاحة لدى الباحث.

هناك شرط واحد فقط للعينة الجيدة، وهو أن تكون ممثلة للأصل العام.

8) إعداد أدوات القياس أو أدوات جمع المعلومات.

تؤدي أدوات القياس، وأدوات جمع المعلومات، دورا أساسيا في البحوث الميدانية. وتؤثر بصورة جوهرية في نتائج البحث. فإذا كانت أدوات جيدة، يحصل بها الباحث على معلومات محل ثقة. وتكون نتائج البحث، كذلك، محل ثقة. أما إذا كانت أدوات جمع المعلومات رديئة، يحصل الباحث بها على معلومات ليست محل ثقة، وتكون نتائج البحث وفقا لذلك، ليست محل ثقة.

وتشير مؤلفات القياس النفسي، إلى أن أداة القياس الجيدة، هي التي تتوفر على خصائص سيكومترية جيدة، أي معاملات الصدق والثبات مرتفعة. ولكن هذا لا يكفي وحده للحكم على أن أداة القياس جيدة، ومحل ثقة، لاستعمالها في الحصول على المعلومات من العينة. بل ينبغي أن تقوم أداة القياس على خلفية علمية واضحة بالنسبة للمتغير المراد قياسه. وهذا ما رأيت أن الباحثين يهملونه تماما، عند قيامهم بتصميم أدوات قياس جديدة لبحوثهم. ويكتفون باستخراج معاملات الصدق والثبات، التي تكون في معظمها بطرق سيئة، مما يفقد الثقة تماما في الأداة، رغم ما لها من دور أساسي في الحكم على مصداقية نتائج

البحث.

وهناك خطوات لتصميم أداة قياس، توردها مراجع القياس النفسي، ينبغي الاطلاع عليها.

إن تحديد الخلفية النظرية العلمية لأداة القياس، ضروري جدا. ويساوي في الأهمية كلا من الصدق والثبات.

ومما ينبغي التأكيد عليه بالنسبة لأدوات القياس، من الناحية العلمية، أن استعمال أدوات القياس الجاهزة، التي تم إعدادها قديما، وأنجزت بها بحوث سابقة، أفضل من استعمال أدوات قياس تم إعدادها لغرض البحث. وينصح علماء المنهجية والأخصائيون في القياس النفسي، أن استعمال أداة قياس جاهزة أو مترجمة، بشرط حساب شروطها السيكومترية على العينة الجديدة، أكثر فائدة من التأليف، لأنه في الحالة الأولى نبدأ من حيث انتهى غيرنا، ونحقق هنا مبدأ التراكمية في العلم، الذي يشير إلى أن العلم، عبارة عن جهود العلماء والباحثين تضاف إلى بعضها، فينمو العلم ويتطور. أما في الحالة الثانية فنبدأ من الصفر. ومن مزايا استعمال أدوات القياس الجاهزة، الاستفادة من نتائج البحوث السابقة التي أجريت على الأداة، حيث أن التكرار والامتداد والربط بين البحوث السابقة واللاحقة (التراكمية)، أكثر فائدة علميا من بناء أداة قياس جديدة تفتقد إلى السند العلمي في الدراسات السابقة.

9) الأساليب الإحصائية.

هناك أساليب إحصائية وصفية، وتستعمل لوصف البيانات المتعلقة بالعينة

وتلخيصها وتبويبها.

وهناك أساليب إحصائية استدلالية، وتستعمل لاختبار الفروض وتعميم النتائج على مجتمع البحث.

وبالنسبة للأساليب الإحصائية الاستدلالية، هناك أساليب إحصائية استدلالية بارامترية، وأساليب إحصائية لابارامترية، ولكل منها شروط الاستعمال في معالجة البيانات.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هناك معايير لاستعمال أساليب إحصائية مناسبة لبيانات البحث المناسبة. وتتمثل في :

المعيار الأول : مستويات القياس ودلالات الأرقام.

1 ـ مستوى التسمية والتصنيف.

2 ـ مستوى الرتبة.

3 ـ مستوى المسافات المتساوية.

4 ـ مستوى النسبة.

المعيار الثاني : طبيعة العينات وعلاقاتها بالمجتمع، بالنسبة للإحصاء البارامتري والإحصاء اللابارامترية.

المعيار الثالث : طبيعة المتغيرات كمية أو نوعية.

المعيار الرابع : قوة الاختبار الإحصائي.

(ينبغي الاطلاع على هذه المعايير في كتب القياس النفسي والإحصاء).

10) عرض نتائج البحث.

يمكن للباحث أن يعرض نتائج البحث من خلال الأهداف التي سعى البحث إلى تحقيقها. ويمكنه كذلك، عرض نتائج البحث من خلال أسئلة البحث. ويمكنه كذلك، عرض نتائج البحث من خلال الفروض. ولا يترتب عن ذلك أي خطأ في منهجية البحث.

وتستعمل أساليب ووسائل معينة لعرض نتائج البحث، مثل : الجداول والمنحنيات والرسوم البيانية والمدرجات التكرارية والمضلعات التكرارية والدوائر النسبية والأعمدة والصور والأشكال وغيرها. وينبغي أن تكون واضحة وسهلة القراءة والفهم.

وعلى الباحث أن يسجل المعلومات الضرورية التي تتعلق بالعينات وحجمها وخصائصها والمتغيرات، على الجداول أو المنحنيات أو الرسوم البيانية وغيرها من وسائل عرض النتائج.

11) مناقشة نتائج البحث.

تناقش نتائج البحث بالتسلسل التالي : وفق الأسلوب الإحصائي المستعمل، إذا كان فارقيا أو ارتباطيا وغيره. وهنا يصرح الباحث بقبوله لفرض البحث ورفضه للفرض الصفري، أو العكس. ثم يذكر مدى اتفاق أو اختلاف نتائج البحث الحالي مع نتائج البحوث السابقة. مع تقديم تبريرات لكل من الاتفاق والاختلاف. ثم يذكر مدى اتفاق أو اختلاف النتائج مع المعلومات النظرية المتعلقة بموضوع البحث. وأخيرا يساهم في مناقشة النتائج باجتهاداته في إطار خصائص المتغيرات وخصائص مجتمع البحث وغيرها.

12) العائد من نتائج البحث.

ويتضمن جانبين هما :

1. يشير الباحث إلى مكانة نتائج البحث بالنسبة لنتائج البحوث السابقة. أي الإسهامات العلمية النظرية أو التطبيقية التي قدمها البحث.

2. يقترح الباحث بحوثا ينبغي إجراؤها مستقبلا، للإجابة عن بعض الأسئلة التي انبثقت عن نتائج بحثه.

وفيما يلي تلخيص لما سبق في الإطار الآتي :

إن البحث العلمي النفسي، يبدأ بشعور الباحث بوجود مشكلة. فيجمع حولها معلومات، التي يكوّن منها الإطار النظري للبحث، الذي يتناوله بمناقشة مضمونه من مفاهيم ومعلومات نظرية ونتائج دراسات سابقة، بطريقة نقدية، مبينا جوانب الوضوح وجوانب الغموض فيما يتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمشكلة، ويحدد من خلال ذلك مشكلة البحث. ويصيغ كذلك عنوان البحث. وبعد تحديد مشكلة البحث، يشرع في إجراءات البحث الميدانية لإيجاد حل لها. فيحدد المنهج المناسب، ومجتمع البحث والعينة وأدوات جمع المعلومات والأساليب الإحصائية المناسبة. وبعد ذلك يعرض النتائج المتوصل إليها ويناقشها، ويبين مكانتها بالنسبة لنتائج البحوث السابقة. ويقترح بحوثا أخرى لاستكمال فهم موضوع البحث.

وأُبرِز أهمية هذه الجوانب المنهجية من خلال ما يأتي :

1. الإطار النظري هام جدا في البحث، وهو الأساس لكل جوانب البحث الأخرى. لأن مشكلة البحث وفروضه تستنبط منه، وكذلك عنوان البحث. وفيه تناقش وتفسر نتائج البحث، وإليه تعود نتائج البحث لتدمج فيه. وعلى الباحثين أن يولوه اهتماما رئيسيا قبل أي جانب آخر من جوانب البحث الأخرى.

2. ومنهج البحث هام جدا، فمن خلاله تنفذ إجراءات البحث الميدانية بصورة علمية موضوعية. وعلى الباحثين أن يكونوا حريصين على اختيار منهج ملائم لطبيعة بحوثهم.

3. ومجتمع البحث هام جدا، فهو المقصود بالبحث، ومنه تسحب العينة، وعليه تعمم نتائج البحث. وعلى الباحثين الاهتمام به وتحديده جيدا.

4. وأدوات جمع المعلومات هامة جدا، لأن نتائج البحث تقوم عليها. وعلى الباحثين الاهتمام بها، من حيث إعداد خلفية علمية لأداة القياس، وحساب شروطها السيكومترية بأكثر من طريقة.

5. والأساليب الإحصائية هامة جدا، لأن بها تعالج بيانات البحث، وتصير النتيجة صحيحة أو خاطئة. وعلى الباحثين الاهتمام بها، باختيار الأسلوب الإحصائي المناسب، للبيانات المناسبة.

6. وطرق عرض نتائج البحث هامة جدا، فمن خلالها تقدم نتائج البحث للقراءة. وعلى الباحثين الاهتمام بها، لتقديم نتائج واضحة تسهل قراءتها وفهمها.

7. ومناقشة نتائج البحث وتفسيرها هامة جدا، فمن خلالها يتم فهم نتائج البحث، ويتم التوصل إلى استنتاجات. وعلى الباحثين الاهتمام بها، فهي تظهر كفاءاتهم العلمية كباحثين، وتقدم دليلا على استيعابهم للإطار النظري للبحث.

8. العائد من نتائج البحث. فمن خلاله يتم التعرف على ما قدمه البحث من إسهامات بالنسبة لنظرية البحث أو لنتائج البحوث السابقة في نفس الموضوع. وما هي البحوث التي ينبغي إجراؤها مستقبلا حول الموضوع لاستكمال فهمه.

هذه هي الجوانب الأساسية في منهجية البحوث العلمية الميدانية في علم النفس. وينبغي الالتزام بها وعدم الحياد عنها إطلاقا، وإلا صار البحث ليس علميا.

ثانيا : الجوانب غير الأساسية والاختيارية في منهجية إنجاز البحوث

الميدانية في علم النفس (الشكلية والتنظيمية، والأخطاء)

هناك جوانب وإجراءات أخرى، يهتم بها الباحثون، أكثر من اهتمامهم بالجوانب الأساسية والإجبارية، وتظهر في تقارير بحوثهم. وهي جوانب شكلية وتنظيمية. والمبالغة في الإتيان بها يشوه البحث، أو يصل به إلى أخطاء. ولذا فالأحسن التقليل منها أو التخلي عنها نهائيا، لأنها لا تقدم أية فائدة، عندما تكون في وضع غير سليم. وتشبه الأعشاب الضارة، التي ينبغي إزالتها من البساتين والمزارع، لأنها تلحق أضرارا بالمحاصيل الزراعية. فكذاك ينبغي التقليل منها أو التخلي عنها في البحوث العلمية. وتتمثل في :

- كتابة الإطار النظري بطريقة تأليف الكتب، وليس بطريقة أكاديمية.
- إدراج معلومات نظرية، ضمن الإطار النظري، لا علاقة لها بمتغيرات البحث.
- المبالغة في كتابة معلومات كثيرة ضمن فصول في الإطار النظري.
- كتابة أهداف البحث ومشكلة البحث والأسئلة والفروض في بداية البحث. والأحسن كتابتها بعد كتابة الإطار النظري، لأنها تستخرج منه. وهو سابق زمنيا عليها.

- الفصل بين أهداف البحث ومشكلة البحث وفروض البحث في أماكن منعزلة من تقرير البحث. رغم أنها تؤدي كلها دورا واحدا هو توجيه مسار البحث وإجراءاته.

- إدراج مشكلة البحث وفروضه مع أداة القياس المقدمة للتحكيم. والصحيح هو إدراج الخلفية العلمية فقط لأداة القياس، التي تقدم للتحكيم، وحساب صدقها وثباتها بأكثر من طريقة.

- إجبارية إجراء الدراسة الاستطلاعية على الخصائص السيكومترية لأدوات القياس فقط. من الممارسات المزعجة لدى الباحثين لدينا، هو تقسيم الإجراءات المتعلقة بأدوات القياس إلى دراستين، هما : دراسة استطلاعية ودراسة أساسية، وهذا دائما وعند كل الباحثين، كأنه واجب منزل من السماء، لا ينبغي مخالفته. وهناك جانبان ينبغي الأخذ بهما : الأول : أن الدراسة الاستطلاعية، لا تجرى من أجل أدوات القياس فقط، بل تجرى على إجراءات البحث الأخرى، كالأساليب الإحصائية وطرق سحب العينات وطرق تطبيق أدوات القياس. الثاني : يمكن عدم إجراء الدراسة الاستطلاعية إطلاقا، سواء على أدوات القياس أم على جوانب أخرى، ولا يلحق ذلك أي ضرر بالبحث. فالدراسة الاستطلاعية قد تكون ضرورية، وقد لا تكون كذلك. وهي إجراء تنظيمي. وليست من أساسيات المنهج العلمي النفسي. ويمكن للباحث أن يتحدث عن كل الإجراءات التي قام بها فيما يتعلق بإعداد أدوات القياس وحساب صدقها وثباتها، تحت عنوان فرعي واحد، هو : أدوات القياس. أو أدوات البحث. دون تقسيمها إلى دراسة استطلاعية ودراسة أساسية. ولكن باحثينا عندما يتعلمون إجراء بحثيا معينا، يتوقفون عنده، ويصيبهم الجمود الفكري. ولا يقبلون أي إجراء آخر غيره. ومما يؤسف له أني سمعت الكثير من الأساتذة المشرفين والأساتذة المناقشين لأطروحات الدكتوراه، يؤكدون على الدراسة الاستطلاعية، وكأنها إجراء منهجي أساسي، وهو ليس كذلك. ويغضون الطرف عن الأخطاء المنهجية الفادحة الأخرى. فالدراسة الاستطلاعية، ما هي إلا إجراء تنظيمي، قد يكون مفيدا، في بعض الظروف. ولكن أن يتمسك به كل الباحثين، ودائما، فهذا ما يعتبر مؤشر قوي على الجهل بفنون البحث.

- إجبارية تعريف المفاهيم في مكان خاص منعزل من تقرير البحث. من الإجراءات التنظيمية لإجراءات البحث، وضع تعاريف كثيرة لمفاهيم البحث، وفي ثلاثة أماكن ومنفصلة عن بعضها. بحث لا تؤدي أي دور وظيفي للبحث. ويعتقد الباحثون أن إجراء ضروري وصحيح. وهو ليس كذلك. تكتب مفاهيم البحث في مكان واحد ضمن الإطار النظري فقط. وهنا تؤدي وظيفتها في البحث. كما أنه ليس صحيحا أن تعرف على المفاهيم الواردة في البحث.

- إجبارية تعريف المفاهيم إجرائيا. وليس ضروريا تعريف كل المفاهيم إجرائيا. إلا المفاهيم التي تقاس، والمفاهيم التي تكون محل تجربة.

- المبالغة في كتابة حدود البحث في عدة صفحات. وتذكر حدود البحث من أجل تحديد الإطار التي تعمم فيه نتائج البحث. وتعمم نتائج البحث وفق متغيرات البحث وعينته وأدوات القياس والأساليب الإحصائية. وهذه يمكن كتابتها في سطر. ولا داعي لكتابتها في عدة صفحات.

- كتابة النسب المئوية للعينات الفرعية بالنسبة للعينة الكلية. إن الذي ينبغي أن يهتم به الباحث، إن استطاع ذلك، هو نسبة العينة إلى مجتمع البحث. وهذا الإجراء لا يستطيعه الباحث. أما ذكر نسبة الذكور ونسبة الإناث من عينة البحث، لا فائدة

منه، ولا يؤدي أي دور بالنسبة لنتائج البحث.

- تجزئة الأسئلة (سؤال عام وأسئلة جزئية).

- تجزئة الفرضيات (فرضية عامة وفرضيات جزئية). إن تجزئة الأسئلة وتجزئة الفرض العلمي، لا يقدم أي فائدة أو توضيح للنتائج. ما هو إلا إجراء شكلي عقيم الفائدة، وتشتيت للجهد وتمزيق للنتائج.

- الاهتمام بالفرضيات قبل إعداد الإطار النظري وتحديد مشكلة البحث. إن مسار البحث، كما أوضحت في بدايات هذا المقال، يكون وفق ما يلي : الشعور بالمشكلة. جمع البيانات حولها (الذي يسجل في الإطار النظري). تحديد المشكلة. وضع الفرض (بصفته حلا للمشكلة). إذن، يأتي الفرض العلمي في المرحلة الرابعة. ولكن باحثينا، يبدؤون به.

- إنهاء البحث بالخاتمة والاقتراحات والتوصيات. تنتهي البحوث العلمية بالنتائج، ومكانتها بالنسبة لنتائج البحوث السابقة في نفس الموضوع. ثم التذكير بالبحوث التي ينبغي إجرائها مستقبلا في نفس الموضوع، بهدف فهم الجوانب التي لا تزال غامضة فيه. أما التوصيات، فتقدم للجهات التي تريدها للاستفادة من نتائج البحث في إصلاح جوانب معينة في بيئاتها.

- الأخطاء اللغوية والإملائية، وأخطاء في الكتابة.

خاتمة.

تناولت الدراسة جوانب هامة جدا من منهجية إنجاز البحوث الميدانية في علم النفس، التي تبين أن الكثير من الباحثين في علم النفس، لا يميزون بينها وجوانب أخرى هي مجرد إجراءات تنظيمية وشكلية. وكان الهدف الأساسي لهذه المقالة، التي هي عبارة عن دليل مصغّر للإشراف ولتقييم البحوث الميدانية في علم النفس، هو تبصير الباحثين للتمييز بين الجانبين، للتعرف على ما هو أساسي في منهجية البحث، وما هو ليس كذلك، لتنقية بحوث الأطروحات خاصة منها. وقد بينت المقالة، باختصار، ولكن بوضوح وتركيز، الجوانب الأساسية، وكذلك، الجوانب التنظيمية والشكلية، في تقارير البحوث الميدانية في علم النفس. ونأمل أن يأخذ بها الباحثون، سواء على مستوى أطروحات الدكتوراه أم على مستوى البحوث التي تنجز لأهداف أخرى. من أجل ترقية البحث العلمي النفسي في جامعاتنا.